

نظرية مطابقة الحقيقة وعلاقتها بعلم الوجود – وليام جيمس أنموذجاً

سعاد محمد مهذب محمد
كلية الآداب – الجوش – جامعة الزنتان – ليبيا
sooooadd88@gmail.com

Abstract

This paper touched upon the clarification of the theory of truth correspondence and its relationship to the science of existing according to William James. And an attempt to provide a comprehensive vision in analyzing and shortening this theory, which is one of the most famous theories in contemporary philosophy. The scientist James did not reject absolute truth, but he did not acknowledge it. Rather, he said that truth is represented by a path in which integrated experiences meet, and James found a Kind of agreement between rationalists and idealists. It refers to the conformity of what is in the mind to what is in reality according to the empiricists, and to the conformity of the mind to itself according to the rationalists. Truth is that which moves us from a current experience to another new experience. It is not the identical image of a thing, but rather an idea that Leads us to realize that thing. He also says that the issue It is not true unless it Leads us to satisfactory results, that is, it depends on what results from it satisfying the needs of the individual. Therefore, the truth is not compatible with reality, but rather it is so if it is proven by experience that it is valid and useful. This means that the more an idea matches reality, the more real it is, which means that the criterion for every truth is experimental reality.

Keywords; truth correspondence theory, ontology, William James.

تطرق في هذه الورقة إلى توضيح نظرية مطابقة الحقيقة وعلاقتها بعلم الوجود عند وليام جيمس، ومحاولة تقديم رؤية شاملة في تحليل وتفسير هذه النظرية والتي تعد من أشهر النظريات في الفلسفة المعاصرة. فإلى عالم جيمس لم يرفض الحقيقة المطلقة ولكنه لم يسلم بها. بل قال أن الحقيقة تتمثل في طريق تلتقي فيها الخبرات المتكاملة، ووجد جيمس نوع من التوافق بين العقلانيين والمثاليين، فهي تشير إلى مطابقة ما في العقل لما في الواقع حسب التجريبيين، وإلى مطابقة العقل لذاته حسب العقلانيين، فالحقيقة هي تلك التي تنقلنا من تجربة راهنة إلى تجربة أخرى جديدة فهي ليست الصورة المطابقة لشيء، وإنما فكرة تقودنا إلى إدراك ذلك الشيء، ويقول أيضاً أن القضية لا تكون صادقة إلا إذا أوصلتنا إلى نتائج مرضية أي مرهونة بما يترتب عليها من أراضاء لحاجات الفرد، وبالتالي فإن الحقيقة ليست متوافقة مع الواقع، وإنما هي كذلك إذا ثبتت بالتجربة إنها صالحة ومفيدة. وهذا يعني أنه كلما كانت الفكرة مطابقة للواقع كلما كانت حقيقية مما يعني أن معيار كل حقيقة هو الواقع التجريبي.

الكلمات المفتاحية: نظرية مطابقة الحقيقة – علم الوجود - وليام جيمس.

تمهيد

حتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن مفهوم الحقيقة موضوع جدير بالدراسة بالمعنى العام، ولكن الأفكار التي جاءت بها الفلسفة المثالية آنذاك هي التي أثارت الاهتمام بمشكلة "الحقيقة"، وبينما كان الفلاسفة السابقون في تلك الفترة يعتقدون بأن الحقيقة مطابقة للواقع، وهذا ما أصبح شائعاً فيما بعد، إلا أن معنى الحقيقة يختلف عن تلك النظرة، فأصبح هناك تأكيد من بعض الفلاسفة على عدم وجود مشكلة منفصلة للحقيقة، وتأكيد من البعض الآخر على أن حقيقتها حقيقة بديهية، مما ساعد على ظهور بعض النظريات التي تفسر الحقيقة والتي أصبحت شائعة في العصر الحديث، ومن بينها نظرية التطابق والتي يتم التركيز عليها في هذا البحث.

إشكالية البحث

سعت هذه الورقة إلى التعرف على نظرية المطابقة للحقيقة عند وليام جيمس، حيث أنصب هذا البحث على تسليط الضوء على نظرية المطابقة للواقع الحقيقي وكذلك علاقتها بعلم الوجود، من خلال الإجابة على التساؤل الذي عرضه وليام جيمس " ماهي الإضافات التي يمكن أن تنضاف إلى الواقع الإنساني، إن تم الاعتقاد بأن الحقيقة هي تطابق الفكر مع الواقع؟ وبأي معنى يمكن للواقع الإنساني أن يشهد تغيرات تجعله يرنو إلى إقامة إنسانية متطورة تواكب الواقع المتغير وغير الثابت بالضرورة؟ والشئ الذي يجعل مفهوم الحقيقة يمثل إشكالية مهمة هو صعوبة الحسم في مدلولها باعتبارها غاية كل المعارف.

حيث تناولنا في هذا البحث نظرية مطابقة الحقيقة عند وليام جيمس، فقد تم تسليط الضوء على ثلاثة مباحث كان الأول يبحث في السيرة الذاتية والفكرية لوليام جيمس، والمبحث الثاني سلط الضوء على نظريات الحقيقة وقواعدها ومعيارها وقيمة الحقيقة كمنفعة، أما المبحث الثالث تناولنا فيه علم الوجود وعلاقته بنظرية التطابق، أما المبحث الرابع والأخير تناولنا فيه جملة من الانتقادات التي وجهت لنظرية الحقيقة وحاولنا أن نناقش هذه الانتقادات، وخاتمة عرضنا فيها أهم ما جاء في هذا البحث. ومن خلال هذا المنطلق نحاول أن نحلل فكرة ارتباط الحقيقة بالواقع أو بالمنطق عند جيمس من خلال هذا البحث.

تساؤلات البحث

تطرح الدراسة التساؤلات التالية:

ماهي الأفكار النظرية عند وليام جيمس؟

ما حقيقة نظرية التطابق ومعيارها وماهي قيمتها كمنفعة؟

ماهي علاقة نظرية المطابقة بعلم الوجود؟

ما أهم الانتقادات التي تعرضت لها نظرية المطابقة للحقيقة؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث بناء على ما تقدم إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي كالآتي:

التعرف على الأفكار النظرية لوليام جيمس.

التعرف على حقيقة نظرية التطابق ومعيارها وقيمتها كمنفعة.

معرفة العلاقة التي تربط نظرية مطابقة الحقيقة بعلم الوجود.

التعرف على أهم الانتقادات التي وجهت لنظرية المطابقة.

أهمية البحث

الأهمية العلمية

تكمن أهمية هذه الورقة في كونها تناقش نظرياً ونقدياً نظرية المطابقة للحقيقة، وهي أحد النظريات الحديثة المعاصرة التي تبين دور الحقيقة في تفسير السلوك الإنساني، كما أنه قد تكون إضافة علمية جديدة للتراث العلمي في مكتبة الأبحاث العربية، ونقطة انطلاق مميزة للباحثين في مجال التخصص.

الأهمية العملية

تظهر الأهمية العملية في أن الدراسة تخدم المنهج النظري النقدي، في الطرح لنقد نظرية المطابقة للحقيقة، وقد تكون نموذجاً عملياً ليوضح للمختصين والطلاب بعض من جوانب النقد التي تسهم في توليد أفكار بحثية جديدة لدى الباحثين.

أما عن مبررات اختياري لموضوع الدراسة تنحصر في النقاط التالية

- 1- رغبتني المعرفية في تطوير قدراتي العلمية في تحليل نظرية المطابقة للحقيقة.
- 2- الرغبة في إثراء المكتبة بهذا النوع من الدراسات لتعميق الفهم في تفسير السلوك الإنساني وفق هذه النظرية.

الخلفية النظرية لموضوع البحث

المبحث الأول: وليام جيمس سيرته الذاتية وإسهاماته الفكرية

وليام جيمس فيلسوف أمريكي ولد في إحدى عشر كانون الثاني 1842م في نيويورك وتوفي في 1910،⁽¹⁾ وهو الأخ البكر للروائي هنري جيمس القصصي الشهير والناقد صاحب التأثير في النقد الإنجليزي بعامة.⁽²⁾

وكان والده في دراسته الوسطى من حياته طالباً للاهوت في معهد برنستون الديني، بيد أن هذه الفترة تركت في نفسه اشمئزازاً شديداً من رجال الدين عبر عنه طوال حياته، ثم أنه عاش متجولاً في أنحاء أوروبا.⁽³⁾ كما أنه "ينتمي إلى ذلك الرعيل الأول من الحكماء الذين تكتنفهم هالة من الغموض، والذين كانت تزخر بهم أمريكا في مستهل نشأتها."⁽⁴⁾

ومن الجدير بالذكر إن أسرة جيمس تنحدر من الأسر الإيرلندية المهاجرة، أصابت حظاً من الثراء، وأمضى طفولته مثل أخيه في سفر متواصل عبر أوروبا مع ذويه.⁽⁵⁾

وكان لهذا كله أثره في نشأته وتكوينه. فقد ورث عن أبيه اهتمامه العميق بالقيم الأخلاقية والروحية.⁽⁶⁾ ومن هنا نلاحظ أثر ذلك في فلسفته التي كان للدين والإيمان حظاً أوفر من أقرانه البراجماتيين، كذلك انعكس

¹ - جورج طرابيشي. معجم الفلاسفة، بيروت: دار الطليعة، ط3، 2006م، ص 266.

² - عبدالرحمن بدوي. موسوعة الفلسفة، ذوي القربى، 1427هـ، ط1، ص 447.

³ - عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المرجع السابق، ص 447.

⁴ - محمد فتحي الشنيطي، مقدمة ترجمة لكتاب وليام جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص7.

⁵ - جورج طرابيشي. معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص 266.

⁶ - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص 267.

عليه كثرة سفر أبيه فكثيراً ما عانى جيمس الاضطراب في تعليمه وثقافته، ومع ذلك فقد اجتمعت له ثقافة واسعة محيطة بفضل مجهوده وشغفه بالبحث، وقد التقت في شخصيته خصال الفنان وصفات العالم المتدين، وانصهرت جميعها في بوتقة فكره فتماخضت عنها فيلسوف عميق النظرة جديد الفكرة.⁽⁷⁾

وفي سنة 1872 بدأ جيمس في هارفورد مهنته التدريسية التي واصلها إلى آخر حياته، حيث كان مدرساً للفيسيولوجيا.⁽⁸⁾

وظل يحاضر طلابه أربعة أعوام، بيد أن شغفه كان متجهاً إلى التعمق في أسرار النفس، وكشف حجبها والوقوف على طاقاتها وإمكاناتها، فلذلك سرعان ما انصرف إلى علم النفس، ولكنه أقبل عليه من طريق جديد هو طريق العلم التجريبي، وعلى يدي وليم جيمس لم يعد علم النفس علماً فلسفياً أو علم الفلسفة العقلية بالغذاء علماً تجريبياً.⁽⁹⁾

وعلى ضوء ذلك صدرت رائعة وليم جيمس يعني كتابه (أصول علم النفس)، وهو كتاب ضخيم صدر سنة 1891 في مجلدين كبيرين، وكان هذا الكتاب فتحاً جديداً في ميدان الدراسات النفسانية.⁽¹⁰⁾

حيث توصل جيمس إلى أن أهم قانون في علم النفس هو قانون المنفعة فإن أفعالنا التلقائية مرتبة بالطبع لخيرنا.⁽¹¹⁾

ويعد جيمس أول من أنشأ معمل تجريبي لعلم النفس في أمريكا، إلا أنه أحس العمل في المعمل لا يلائم طبيعته ولا يلائم مزاجه، وقد أدرك جيمس كأن علم النفس يبدو موضوعاً ضامراً نحيلاً أمام مشكلة الفلسفة والدين. من هنا اتجه إلى البحث في طبيعة الله ووجوده وخلود النفس وحرية الإرادة وقيم الحياة.⁽¹²⁾ كما كان له مؤلفات كثيرة وهي:⁽¹³⁾

"كمبادئ أصول علم النفس 1890، وكتاب علم النفس 1892، وإرادة الاعتقاد 1897، ووجوه التجربة الدينية أو أنواع من التجربة الدينية 1902، والبرجماتية 1907، وعالم متعدد 1909، ومعنى الحقيقة 1909، وبعد وفاته بعام نشر له كتاب بعض مسائل الفلسفة أو بعض مشكلات الفلسفة 1911، ونشر أيضاً بعد وفاته سنة 1912 مقالات في المذهب التجريبي المتطرف.⁽¹⁴⁾

7- محمد فتحي الشنيطي، مقدمة ترجمة لكتاب وليام جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 7.

8 - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص 267.

9 - محمد فتحي الشنيطي، مقدمة ترجمة لكتاب وليام جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 8.

10 - محمد فتحي الشنيطي، مقدمة ترجمة لكتاب وليام جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، المرجع السابق، ص 8.

11- يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة: دار آفاق للنشر والتوزيع، ط 1، 2016م، ص 375-376.

12 -محمد فتحي الشنيطي، مرجع سبق ذكره، ص 8.

13 -أميل برهيه، تاريخ الفلسفة، تر:جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة، ط 1، 1987م، ص 162.

14 - أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 4، 1959م، ج 2، ص 123.

المبحث الثاني: نظريات الحقيقة



شكل رقم (1) نظريات الحقيقة

يرى بعض الفلاسفة مفهوم الحقيقة على أنه بسيط وأساسي وغير قابل للتفسير بأي شكل، حيث ينظر البعض إلى الحقيقة على أنها تناسب بين افتراض وواقع مستقل، فيما يسمى أحياناً نظرية التوافق للحقيقة، ولا تزال النظريات والآراء المتنوعة عن الحقيقة موضع نقاش بين العلماء والفلاسفة واللاهوتيين، وهناك مواقف متباينة حول أسئلة مثل ما الذي يشكل الحقيقة، وما هي الأشياء التي تحمل الحقيقة، وكيفية تعريف وتحديد وتمييز الحقيقة، وما هي الأدوار التي يؤديها الإيمان والمعرفة التجريبية في ذلك؟ وما إذا كانت الحقيقة يمكن أن تكون ذاتية أو موضوعية بمعنى الحقيقة النسبية مقابل الحقيقة المطلقة. وتتفق هذه النظريات في افتراض أن للحقيقة طبيعة مشتركة، أنها شيء واحد والشيء نفسه بالنسبة للموضوعات التي تنطبق عليها، وبناء على ذلك تم وضع هذه النظريات من أجل السيطرة على هذه الطبيعة، ولهذا افترضت شروطاً ضرورية تشير إلى معنى ما هو حقيقي، وربما تعبر عن علاقة التطابق الضرورية بين الحقيقة ومجالات المعرفة الخاصة، وقد توصل أصحاب هذه النظريات إلى هذه الفكرة من خلال اتجاهات نظرية مختلفة تماماً، في الاتجاه الذي يبدأ منه أصحاب نظرية التطابق، هو دور الحقيقة في تفسير السلوك بمعنى تفسير ما يحدث من خلال مطابقته للواقع، ويبدأ أصحاب نظرية الترابط من جعل الحقيقة ممكنة للمعرفة، أما الاتجاه الذي يبدأ منه أصحاب النظرية البرجماتية فهو تفسير الحقيقة من خلال فائدة الاعتماد الحقيقي،

وهكذا يمكن فحص هذه النظريات في معالجتها لمشكلة الحقيقة، من خلال أن كل نظرية تبدأ من فكرة بديهية فريدة حول طبيعة الحقيقة كما تتصورها، فنظرية التطابق تبدأ بفكرة أن القضية تكون حقيقية عندما توجد واقعة تتطابق معها، بمعنى أنها تعبر عن حالة الواقع الآن، أما الفكرة البديهية فيما يتعلق بنظرية الترابط هي أن الحقيقة هي ارتباط نسقي أكثر من أن تكون اتصال منطقي، فالقضية تكون حقيقية إذا كانت تشكل كل مترابطاً نسقياً، يستلزم كل عنصر فيه نصر الآخر، ومن ثم حقيقة في ضوء هذه النظرية هي الخاصية المميزة للمطلق، وأخيراً فإن الفكرة البديهية بالنسبة للنظرية البرجماتية هي الحقيقة التي تتصل أساساً بالاعتقاد النافع والمفيد في الواقع، إن الحقيقة التي يجب أن نهتم بالبحث عنها هي تلك التي تنطبق على أي شيء، قد يتصف بطريقة أو بأخرى بأنه حقيقي أو غير حقيقي، سواء كان ذلك في العالم أو الإنسان أو حتى معرفتنا بالمطلق، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المعرفة والحقيقة مترابطان في علاقة مهمة، فمعرفتنا بالأشياء هي نوع من العلاقة بين أنفسنا والأشياء المعروفة.

1- نظرية التطابق

وهي عندما نقول معلومة وهي موجودة في الواقع يعني هذه حقيقة مثلاً الموبايل موجود على الطاولة وهو فعلاً موجود يبقى حقيقة.

2- نظرية الترابط

وهي هل الذي نقوله فعلاً مرتبط بقوانين العلم المثبتة أو لا. مثلاً عندما نقول نترك الموبايل يطير في الهواء. هذا طبعاً يتعارض مع قانون الجاذبية ويتعارض مع أحد قوانين المنطق إذاً ليس حقيقة.

3- النظرية البرجماتية

تقول لو المعلومة قابلة للتطبيق وتطلع منها نتائج إذاً هي حقيقة، ولو غير قابلة للتطبيق ولا تطلع منها نتائج إذاً ليست حقيقة.

وبالتالي سيتم التركيز على نظرية التطابق

تعتبر نظرية المطابقة نموذج تقليدي يعود أصله إلى بعض الفلاسفة الإغريق مثل أفلاطون وأرسطو، فهي من أبرز النظريات الفلسفية والمنطقية التي تحاول استخلاص معنى الصحة والخطأ في التصورات والأحكام، وقبل أن نشرع في عرض هذه النظرية لابد لنا من توضيح مصطلحين، فقد استقر لدى أغلب المترجمين العرب على ترجمتها كالتالي صدق وكذب حيث قالوا إن الحكم سين صادق والحكم صاد كاذب، وكان فلسفة العرب القدماء يستعملون هاتين الكلمتين أيضاً، وهذا قراءة استعمال مربك لأن الصدق والكذب مقولتان من مقولات الاعتقاد فقول صادق يعبر عنه بالتطابق، كيف ويكون كاذباً إذا

عبر عنه بشكل مخالف، فإذا كنا نعتقد إن السماء تمطر وقلنا أنها تمطر فقولنا صادق، وإذا قلنا أنها لا تمطر رغم اعتقادنا أنها تمطر فقولنا كاذب، أما إذا كانت السماء حقاً تمطر فقولنا صادق.

ومثال آخر أن القول يكون صائب إذا تطابق مع الواقع وليس مع الاعتقاد، ويكون خاطئ إذا لم يطابق الواقع. فعندما نقول الكرسي أحمر فإن قولنا يصح إذا كان الكرسي في الواقع أحمر، وإذا لم يكن أحمر فقولنا خاطئ، وبالتالي نرى أن صحة عبارة ما أو خطأها تثبت فقط عن طريق علاقتها بالعالم، وما إذا كانت تصف العالم على سبيل المثال تتوافق معه، ومن هنا نرى أن هذه النظرية تركز على تطابق المعتقدات والأقوال الحقيقية مع الحالة الفعلية للأشياء، كما تحاول فرض علاقة بين الأفكار والأقوال من جهة وبين الأفكار والأشياء والوقائع من جهة أخرى، وبالتالي معظم أنصار نظريات المطابقة تاريخياً من أتباع الفلسفة الواقعية الميتافيزيقية، أي أنهم يؤمنون بوجود عالم خارج عقول البشر أجمعين، على النقيض من أتباع المثالية ممن يؤمنون بأن كل موجود هو عبارة عن كيان ميتافيزيقي جوهري مستقل عن الفرد المرتبط به، ويتناقض ذلك أيضاً مع معتقد اتباع المذهب التصوري الذي يؤمنون أن كل موجود هو عبارة عن فكرة في رأس شخص ما، في نهاية المطاف على أي حال ليس من الضروري جداً أن تقتزن نظرية المطابقة بالواقعية الميتافيزيقية، على سبيل المثال من الممكن الإيمان بفكرة أن حقائق العالم تحدد العبارات الحقيقية، وأن العالم وحقائقه ليس إلا مجموعة من الأفكار الموجودة في عقل شخص.

قواعد فهم الحقيقة عند وليام جيمس

- 1- القناعة والرضا: إن مصداقية الفكرة أول قضية تتحدد بمدى تحقيقه للرضا وهي رهن بما يترتب عليها من ارضاء حاجات الإنسان البسيطة والمعقدة.
- 2- الفائدة والنفع: تكون الفكرة ذات فائدة عندما تمكننا من التنبؤ، أو عندما تزودنا بالشعور بالمعقولة والراحة والطمأنينة للإنسان، وعندما تؤكد صحة الأفكار التي نؤمن بها فضلاً عن اختيار الأفكار المثمرة لتجاربنا.
- 3- التحقق: إن تطابق القضايا في البحث العلمي يحتاج إلى مبدأ التحقق في تعزيز صحة تلك القضايا، وصحتها تكمن في النتائج العملية التي تنبثق عنها.
- 4- الاختيار: إن الاعتقاد يقودنا إلى الأدوات والمناهج المنتجة بالاختيار، الذي يأتي نتيجة للخبرات السابقة للإنسان، وأن نجاحها يعتمد على ما تقدمه من فوائد كبيرة على المدى البعيد.

معيار الحقيقة

نستدل على أمثلة من الواقع تدل على أن التجربة هي معيار للحقيقة

مثال 1: العقل أشبه بصفحة بيضاء: وللتأكد على أهمية معيار التجربة الحسية والدور الهائل الفعال في بناء الحقيقة. يمكن القول إلا ما من فكرة في العقل إلا وقد سبق وجودها في الحس أولاً، لهذا فالحقيقة هي انعكاس واستنساخ للواقع التجريبي، وبالتالي فالعالم المحسوس يسبق العالم بالمعقول، لأن العقل يولد صفحة بيضاء تملأ بالتعليمات والمكتسبات. إذن فالمعرفة تكون بعدية وليست قبلية، كما اعتقد العقلانيون أن يكون معيار التحقق معيار وحيد للحقيقة، فالمعادن تتمدد بالحرارة مثلاً هي حقيقة مطابقة للواقع والتجربة ليس لمبادئ العقل.

مثال 2: تبخر وتجمد الماء: وللتأكيد على أهمية معيار التجربة والواقع ودورهما الفعال في بناء الحقيقة العلمية، يمكن القول أن الماء يتبخر عند ارتفاع درجة الحرارة ويتجمد عند انخفاضها، لذلك لا بد أن نعود إلى الواقع التجريبي والتحقق من ذلك تجريبياً، وليس بالاعتماد على العقل و البدهة والبرهان الصوري.

مثال 3: مطابقة الفكر للواقع: وللتأكيد على إمكانية تأسيس الحقيقة على مبدأ المطابقة مع الواقع الخارجي، نؤكد بمثال من خلال قضايا الفيزياء المادية، هذا النوع من القضايا لا يتم إثبات صدقها عبر العقل والبدهة وإنما عبر الواقع، فقولنا إن الشمس لن تشرق غداً مثلاً لن يتم التحقق منها عبر اعتماد البرهان وإنما يتم ذلك عبر الواقع المادي، وذلك بفحص الجو وفق الزمن الذي تحيل عليه القضية.

قيمة الحقيقة قيمة نفعية عند وليام جيمس

1- النقاش حول نشأة الكون: وللتأكد على القيمة النفعية للحقيقة. يمكن تقديم مثال النقاش الدائر بين المفكرين في مجموعة من المجالات بخصوص نشأة الكون. حيث كثرت التفسيرات فنجد تفسيرات ميتافيزيقية وأخرى لاهوتية وأخرى علمية، لكن رغم اختلاف تلك التفسيرات ورغم تعدد الحقائق إلا أنها كلها لها قيمة شرطية أن تحقق لنا نفعاً سواء على المستوى العلمي أو النظري، وكذلك بالنسبة للحقيقة الرياضية $2 = 1 + 1$ فالذي يمنحها قيمة، هو كونها تقدم للإنسان تقدماً عملياً ونظرياً وخاصة في مجال الحساب، ولولا تلك الفائدة وذلك النفع لفقدت قيمتها وتم وضعها خارج إطار الحقائق.

2- حجة منطقية: وللتأكيد على القيمة الأخلاقية للحقيقة يمكن القول إن الأفكار الصادقة هي تلك التي تزيد من سلطاننا على الأشياء، فنحن نخترع الحقائق لنستفيد من الوجود، كما نخترع الأجهزة الصناعية للاستفادة من قوى وثروات الطبيعة.

- 3- الدين: وللتأكيد على القيمة النفعية للحقيقة، من خلال المنطلق البرغماتي لا نرى منطلقاته ومصدره من أين جاء هل مصدره ما هو إنساني أم أنه خرافي أسطوري، وإنما حقيقته تقاس بمدى تأثيره في نفوس الأفراد ومدى النتائج المرجوة منه كمعتقد يخلق السلم والتفاؤل في نفوس المتدينين.
- 4- الخريطة: فالخريطة لا نقول عنها خريطة ليس بكونها ملونة ومرسومة بطريقة جمالية، وإنما قيمتها وحقيقتها ترتبط بمدى النتائج المترتبة عنها من خلال نجاحها في إرشاد السائح إلى مكان الجبل، والفندق، والنهر، والمحطة.

إرادة الاعتقاد عند وليام جيمس

إرادة الاعتقاد كما عرفها جيمس هي إرادة التسليم بمعتقدات قد لا يبررها العقل، ولكن تبررها المنافع العملية التي تنتج عنها، فهي لا تتضمن إيماناً اعتبارياً لا يميز بين الصحيح والفاقد من المعتقدات، بل تتضمن اختياراً حقيقياً ينشأ عن نتيجة لها خطرها، صاغ وليام جيمس تلك العبارة أول مرة سنة 1896 حيث يرى أن الإنسان لا بد أن تكون له تجربة دينية، فهو بحاجة للسند الذي يقف لجواره، ويشعر ويشيع الراحة والسلام الداخلي في نفسه، يحتاج لإله يدعم الخير ويحارب الشر، ويرفض جيمس نظرة الأدرينيين لأنها ضعف وعجز عن اتخاذ القرار، ويرفض قولهم إننا لا يمكن أن نؤمن بشيء ما لم يكن عليه دليل حسي قاطع، أو بنية منطقية كافية تتفق عليها العقول، فيجيبهم جيمس بأنه من حق الإنسان أن يؤمن بوجود الله وبالأخلاق لأن هذه الفروض حية ومفيدة، ولم يحصر جيمس مذهبه هذا في الاعتقاد بوجود الله، بل ألحق بها مسألة الخلود والحياة ما بعد الموت. فالاعتقاد هو الاستعداد والتأهب للعمل، فهو يرى أن الاعتقاد بداية كل موقف فلسفي وغير فلسفي وليس الاقتناع والعقل، وأن طريق العقل إما أن ينتهي إلى الشكوى إما إلى الفلسفة الواحدة أو المطلقة وكلاهما لا يلائم الحياة الدنيا، وبما أن الدين عند جيمس يعتمد على الإيمان بعالم غير منظور، وأن العقل عاجز عن البرهنة على وجودهم، ولكن عجز العقل لا يبرر رفض هذا الوجود، لأن ما يحقق وجود هذا العالم الخفي هو الوجدان والغريزة وليس العقل، ويقول جيمس: " هل العقل من خلق المادة أو المادة من خلق العقل؟ هل العالم الذي ندركه حسياً في المكان والزمان هو عالم الحقيقة النهائية أو هو مجرد ستار يخفي وراءه حقيقة أعمق؟ (15)

المبحث الثالث: مفهوم علم الوجود أو (الأنطولوجيا)

15 - وليام جيمس، الفيزياء والفلسفة، ترجمة جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة، ص 19.

إن مفهوم الأنطولوجيا ظهر في الفلسفة بمعنى علم الوجود، ولكن منذ التسعينات أصبحت الأنطولوجيا من أهم مجالات البحث العلمي في المعلوماتية الحديثة، تعد الأنطولوجيا جانباً من جوانب مدرسة "سامخيا" للفلسفة منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، ومن المفاهيم المعروفة لهذه المدرسة مفهوم الغنى، وهو علم يهتم بالأشياء غير المادية، وله علاقة وثيقة بمصطلحات دراسة الواقع، لقد أصبحت الأنطولوجيا مع ظهور الإنترنت والويب أهمية كبرى في مجال هندسة المعرفة، حيث أنها تساعد مستعملها على إثراء النظام بمعاني ومفاهيم المصطلحات، ولقد أثبتت الأنطولوجيا مردوديتها في ميادين عدة مثل الذكاء الاصطناعي والطب وهندسة البرمجيات، ولقد أصبح البحث مكتفٍ في مجال الأنطولوجيات منذ التسعينات بمراكز البحوث الإعلامية نظراً لأهميتها في مجال تصميم الأنظمة، كما تقوم الأنطولوجيا بتنظيم المعرفة في مجال معين، وذلك بتوضيح المفاهيم المتواجدة في مجال محدد وتوضيح كيفية تصنيف هذه المفاهيم. وتبين نظرية الوجود أن الوجود الإنساني وما يتصل به من نفس وروح وجسد وجود الأشياء من نبات وحيوان وجماد، وما يتصل بهذه الأشياء وجود الكون ككل وما يشتمل عليه من موجودات، وجود الله ذاته وصفاته وأفعاله، لقد أكد سقراط على أن الفضيلة هي أقيم ما يملكه الإنسان، والحياة المثالية هي تلك الحياة التي تنقضي في البحث عن الخير وتكمن الحقيقة وراء ظلال الوجود، فقد لاحظ أن الرطوبة هي أصل الحياة وكل ما تغيرت خواصها تغيرت الموجودات في الماء، يملك الرطوبة الجريان التجمد التبخر فهو أصل الوجود، لذلك قال الماء أصل الكون فهو الجوهر الأساسي، فمنه تولدت الأشياء ومنه انبثقت، ويعتبر (سورين كير كغور) هو أول فيلسوف وجودي ركز على أن الحقيقة الوجودية تنبع من داخل الفرد من عاطفته العميقة، لذلك ركز على وعي الفرد الذاتي، وليس كوعي خالص، والوعي الذاتي ليس وعياً محدداً، وإنما عبارة عن بصيرة ثابتة صقلتها رحلة الحياة بالمآسي والآلام والشرور.

ومن هنا نرى أن هذا العلم يبحث في كشف طبيعة الوجود غير المادي، في القضايا الميتافيزيقية المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية، مثل المادة والطاقة والزمان والمكان والكم والكيف والعلة والقانون والوجود الذهني وغيرها، إضافة إلى أصناف الوجود في محاولة لتحديد وإيجاد أي كيان أو كينونة، وأي أنماط لهذه الكينونات الموجودة في الحياة.

الدراسات السابقة

تناول العديد من الكتاب وعلماء الاجتماع نظرية تطابق الحقيقة من مختلف الجوانب، إلا أن تناول تلك النظرية من الناحية النقدية يتسم بالندرة، حيث إن الدراسة الحالية تعد أحد الدراسات النظرية التحليلية النقدية، التي تهدف إلى التعرف على ربط نظرية التطابق بالواقع، لذلك هناك عدد قليل من الدراسات التي تهتم بهذا الجانب، إلا إن الباحثة تمكنت من الحصول على دراسات أجراها:

1-دراسة عطا الله بعنوان: (نائية المصدرية والغائية للواقع في نظرية المعرفة دراسة مقارنة، 2022، 15)، (16)

هدف فيها إلى معرفة العلاقة بين المعرفة بأنواعها المختلفة والواقع بجوانبه المتعددة، واستخدم الباحث المنهجين المقارن والنقدي لتحقيق أهداف دراسته، وكشف عن عدد من النتائج أهمها إن هناك علاقة بين الفكر والواقع في ميدان المعرفة الإنسانية عند الغربيين والإسلاميين، وتميز الفكر الإسلامي بالحضور القوي للواقع في نظرية المعرفة دون الفكر الغربي، وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في اهتمامها بتحليل نظرية التطابق مع الواقع وفهم الحقيقة.

2-دراسة داود بعنوان (البرجماتية فلسفة المستقبل عند "وليم جيمس"، 2021، 210-183)، (17)

تهدف الدراسة إلى البحث عن إشكالية العقلانية في فلسفة جيمس في سياق العلاقة بين العقل والحقيقة والمطلق والعالم، وتوصلت الدراسة إلى أنه بفضل البرجماتية يصبح العالم حقيقة مرنة غير مكتملة يمكن وصفها بالتعدد والتغير والحركة المستمرة، وبالتالي فإن فكر جيمس يفسح المجال أمام الفكر الجديد، ويجعله يغامر ويبدع في مجال المعرفة الإنسانية.

3-دراسة محمد فرحة، بعنوان (الأنطولوجيا: النشأة والتطور والنضج، 2010)، (18)

يهدف البحث الراهن إلى إثبات أن الأنطولوجيا كانت منذ نشأتها حتى وقتنا الراهن مبحثاً في الوجود، ولم تكن أبداً ميتافيزيقاً وجودية. حيث توصل هذا البحث إلى أن الشكل المعاصر للأنطولوجيا هو الوجود من حيث واقعيته أي من حيث موضوعيته، فأصبح بالإمكان أن تبقى الأنطولوجيا المعاصرة بحثاً في الوجود الإنساني.

4-دراسة (William James,1999): William James and the Evolution of Consciousness. (19)

على الرغم من الهبوط إلى عالم الخرافات إلا أنه قد أصبح التحقق في الوعي ومناقشته مرة أخرى أمراً يمكن الدفاع عنه علمياً، ومع ذلك لا تزال محاولات وصف الوعي الحيواني تتعرض للانتقاد بسبب، افتقارها إلى معايير مستقلة تحدد وجود أو عدم وجود الظاهرة، منذ أكثر من مائة عام أدرك وليام جيمس إن السمات

16 - مختار محمود عطا الله، "نائية المصدرية والغائية للواقع في نظرية المعرفة دراسة مقارنة"، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2022، ص 15.

17 - داود. "البرجماتية فلسفة المستقبل عند "وليم جيمس"، المجلد 27، العدد 2، 2021، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، ص 183-210.

18 - محمد فرحة. "الأنطولوجيا: النشأة والتطور والنضج"، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (32)، العدد 4، 2010.

19 William James, 1999 :-William James and the Evolution of Consciousness.

العقلية تخضع لنفس العمليات التطورية التي تخضع لها الخصائص الجسدية، وبالتالي يجب تمثيلها بمستويات مختلفة من التعقيد في جميع أنحاء المملكة الحيوانية، ثم توضيح مقترحات جيمس فيما يتعلق بالوعي الحيواني، تليها مناقشة لثلاثة فئات من الوعي الحيواني المستمدة من البحث التجريبي، ثم تم تقديم هذه الفصول للدفاع عن مقترحات جيمس، والموقف القائل بأنه يمكن دعم نظرية الوعي الحيواني علمياً، يقال أنه من خلال استخدام تعبيرات سلوكية معينة لمؤشر الوعي من خلال توفير اختبارات تجريبية يمكن من خلالها استنباط هذه التعبيرات السلوكية.

5-دراسة (William James) Instead of Erklaren and Verstehan; William James on Human Understandin.⁽²⁰⁾

لم يعتقد جيمس أن هناك سبباً كافياً لافتراض وجود تمييز جذري بين الوصف والتفسير، يتوافق هذا الاستنتاج المبدئي مع تفضيل المزاج لرؤية العلاقات وجهات النظر التي تبدو متباينة، وربما يشير هذا إلى طريقة جيدة للتفكير في الاختلاف والتشابه.

6-دراسة (William James) The fullness of William James theory sentiments,2001.⁽²¹⁾

تعرضت نظرية العواطف التي طورها وليام جيمس لأربعة انتقادات أولاً يعتقد أن العاطفة الجسدية ليس لها وظيفة، وأنها لا تلعب أي دور في الإدراك والسلوك، ثانياً يعني تجاهل جيمس دور الخبرة في العاطفة، ثالثاً بالغة جيمس في تقدير لدور العمليات الجسدية في العاطفة، رابعاً لقد ثبتت تجريبياً نظرية جيمس عن العاطفة خاطئة، النقطة الخامسة وهي ليست انتقاداً صريحاً بقدر ما هي افتراض، ترى أن جيمس تيسر لديه ما يقدمه إلى علم النفس الاجتماعي للعواطف.

المبحث الرابع: الانتقادات الموجهة إلى نظرية مطابقة الحقيقة

- 1-تزعم أحد الحملات المعارضة أن نظرية المطابقة تنجح في جاذبيتها للعالم الحقيقي فقط، عندما يكون بإمكاننا الوصول إلى العالم الحقيقي.
- 2- يؤمن أتباع الواقعية الساذجة أننا ندرك حقيقة الأشياء فور رؤيتها، يمكن لهذا النوع من الأشخاص تبني نظرية مطابقة الحقيقة بالإخلاص.
- 3-يؤمن المثاليون المتزمتون أنها أشياء حقيقية تستهدف نظرية المطابقة الكيانات الخيالية غير المحددة، وهذا سبب كونها نظرية غير مترابطة.

²⁰ - (William James) Instead of Erklaren and Verstehan; William James on Human Understandin.

²¹ - (William James) theory the fullness of William James sentiments,2001.

4- هناك من رأى أن فلسفة وليام جيمس هي فلسفة نفعية تجارية تقوم على الخلط بين المنفعة والحقيقة.

خاتمة

نظرية المطابقة للحقيقة هي مفهوم فلسفي مقبول على نطاق واسع ينص على أن الحقيقة يتم تحديدها من خلال ما إذا كان البيان يعكس الواقع بدقة، تستند هذه النظرية إلى فكرة أن الحقيقة هي مسألة تطابق بين بيان وحقائق العالم، مثلاً تعد العبارة صحيحة إذا كانت تعكس الواقع بدقة، هذا يعني بأن البيان يكون صحيحاً إذا كان يصف بدقة حقائق العالم، على سبيل المثال إذا كانت العبارة تقول إن السماء زرقاء، فهذا صحيح إذا كانت السماء زرقاء بالفعل، إذا لم تكن السماء زرقاء فإن العبارة خاطئة.

المراجع

- 1- طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط3، 2006.
- 2- بدوي، عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ذوي القربي، ط1، 1427هـ.
- 3- الشنيطي، محمد فتحي، مقدمة ترجمة لكتاب وليام جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ط، د. ت.
- 4- جيمس، وليام، الفيزياء والفلسفة، ترجمة جعفر رجب، دار المعارف، القاهرة.
- 5- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2016م.
- 6- برهيه، أميل، تاريخ الفلسفة، تر: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1987م، مجلد الفلسفة الحديثة.
- 7- أمين، أحمد، ومحمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط4، 1959م، ج2.
- 8- مختار محمود عطا الله، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- 9- داود، البراجماتية فلسفة المستقبل عند "وليم جيمس"، (المجلد 27، العدد 2، 2021، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية).
- 10- محمد فرحة. الأنطولوجيا: النشأة والتطور والنضج، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (32)، العدد 4، 2010.
- 11- William James Theory of Emotions: Filling in the picture, The Executive Management Committee Blackwell publishers 1,td.

William James and the Evolution of : (William James, 1999) -12
Consciousness. April 1999. Journal of Theoretical and philosophical
Psychology 19 (1)

William James, Instead of Erklaren and Verstehen; William James on -13
Human Understandin, University of Richmond. RICHMOND. School Arts
Sciences. Psychology Faculty Publications. 2007.

William James, theory The fullness of William James sentiments, Article -14
in the Journal of Social Behavior Theory, December, Australian Catholic,
2001.